

تيارات السيامية

لقد برح بك الخفاء يا عقيل سوار... والخفاء مبرح لـ (حنظلة) ولا بد!!

اقرأ عقيل سوار مجدداً وعقيل سوار يعود - من غيبته الصغرى الأخيرة - فارساً يهزم السنين ، يعقل مجدداً صهوة الكلمة (وفق تعبير أخينا ابي المهدي الدكتور عبدالله فهد النفيسي) ، يطاردنا عقيل في مساحات صنورتنا المغلفة بالرماد ، يطاردنا عقيل في ساحات عقلمنا الباطن ، يطاردنا وهو يرجو أن يطردنا طرداً ويطرد نفسه - معنا - طرداً من جنان الحلم البنفسجي المخمل اللطيف بين جفوننا الغافية التماعات كذب الأبلق وزوره الذاتي ومفارقته الموضوعية للتاريخ!

ومرة أو مرات خفنا على عقيل سوار من تلك التي عشقها - بعد أن اضحى كهلاً!! فبادلته العشق كما يبدو!

آلة من الحديد الـ «هارديير» يسمونها (الكومبيوتر) وصفائح معدنية/بلاستيكية رقيقة يسمونها - إن لم يجافني الصواب - تسمية الـ «سوفت وير»!

ولكن المؤكد - الآن - أن عقيل سوار لم يكن مع معشوقته الجديدة سوى في (غيبته صغرى) أخرى!! سرعان - بحمد الله - ما انطفت فتائلها فعاد إلى قلمه ،

وهذه عادة اعتدناها من عقيل سوار منذ عرفناه قبل عشرين سنة!

مرة غاب عنا فسألنا عنه فقيل لنا أنه أصبح مصوراً فوتوغرافياً يحتمل (الكلمة) على عاتقه دائراً في الأسواق والمحافل وفي وجوه الناس ، يأكل - يعرق حبيبه - من (تصويره) للناس في أفراحهم وزغاريدهم العابرة وللناس في تواريخ قهرهم الخالد ونبضات القهر بين الناس في مطالع النهار وطيلة النهار وطيلة

الأمسي!

بل ومرة سألنا عن عقيل سوار ودلنا عليه بعض أهل الخبر فوجدناه في سوق النجارين - والله - نجاراً من الطراز الأول ، جاداً في كدحه ، بسط المشوار في باطن صليد الخشب ، ويطوي بـ (البرده) ما اخشوش من وجه الخشب ، وفي براعة رشيقة ، ولكنها عنيدة ، بثقت المسامر ثم يدق المسامر - حتى أبلغ المسامر عنوا - في مواضعها المرسومة من الأخشاب ، فلا تجد من سمار واحد قد هوت عليه مطرقة عقيل سوار ثم اعوج أو ظهر وفيه يسير نتوء!

وبالطبع فإن الإين البار ، عقيل سوار ، لـ (حالة بن سوار) لا بد وأن تكون قد جرت في دماغه نبضات من نبضات «جلاليف» (أو «كلايف») الأسلاف (في حالة بن سوار) (وحالة بن أنس) المجاورة لها مما التحم الآن - كله - فيما يسمى الآن بمنطقة (الحورة) ، شيئاً فشيئاً منذ بدايات العشرينيات من هذا القرن الميلادي

وحتى اليوم.

وإن فأنه لا عقيل سوار - فبالأ نحن إن نتصوره!! - من غير أن يتصور ، كذلك ، مشاهد (غيباته الصغرى) ... يغيب ويغيب ثم يعود فارساً يعطى صهوة الكلمة ، لا يتفق له غبار ، ولا يصينه الوهن من مطارداته لنفسه ولنا جميعاً ، جاهداً أن يطردنا جميعاً من حجة الأحلام البنفسجية ، المخملية ، الكذوبية ، المنسوجة بخيوط الزيف الموضوعي وبخيوط التزوير الذاتي معاً!

●●●

وأحاورك يا عقيل سوار ، قسراً وقهراً ، فما تواريخنا الذاتية - حتى نحن الأعمار الصغار العائشين على ضفاف الهوامش - وما «سيرتنا» الذاتية!! ، على تفاهة عمومياتها وتفضيلاتها معاً ، سوى نسيج من نسيج التاريخ الموضوعي في تياراته السلفية أو في منازلته السامقة سواء بسواء!!

هل تذكر جيداً ، هل تريد أن تذكر جيداً ، سنوات ١٩٧٢ ، ١٩٧٣ ، ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ ، سنوات الروعة التي تبعنها (سنة الطبعة)؟

هل تذكر كم كانت موافقنا المؤدلجة الرسمية متباعدة بين بعضنا البعض ومتباعدة عن (على سيار) كذلك ، ومع ذلك فإن روعة سنوات الروعة - تلك!! - قد قاربت بين قلوبنا بل بين عقولنا وضمائرنا فعكفنا جميعاً - عن طيب خاطر - في رحاب تلك الرائعة «صدى الأسبوع» ، نسيج بعبونتنا نحن ونسيج (على سيار) معنا بعينيه ، ما حسيناها ، يومئذ - الفجر الصادق الذي لا فجر صادق غيره!

هل تذكر كيف أنه حتى (الطبقة) أو بالتحديد فوارق (الطبقة الاجتماعية) لم تباعد بين قلوبنا نحن ولا بين قلوبنا وقلب (على سيار)!

تلك سنني ما قبل (سنة الطبعة) يا عقيل ، وما أحمل أن تذكر سنني ما قبل (سنة الطبعة) ونحن تعود اليوم إلى امتطاء صهوات الكلمة ، نحاول أن نستعيد إلى عبونتنا دهشتها الطفولية ، القديمة ، البكر ، ونحاول أن نستدعي (الفارس القديم) أو ربما (مشروع الفارس القديم) الذي انقلت من بين أصابعنا فتبعثر فتلاشى في رمال التبعية الروحية / الثقافية / الاستهلاكية كما يضيع الماء ، من بين الأصابع ، ترشقه رشفاً رمال الصحراء العطشى المحازرة ضد الروح وضد الإنسان ، أو كما ضاع يوماً (الفارس القديم) عن صلاح عبدالصبور فكاه دم

عزير لا دموع!

●●●

ولقد أسعدني يا عقيل سوار أن التقى مجدداً مع عقيل سوار ، قديماً/جديداً ،

ينضح بتواريخ القهر الخالد ، يكتب عن حقائق انتمائنا إلى تكريت وانتماء تكريت الينا ، يكتب عن عبت أن ترهن (طاسة الدهن) في يد واحدة أو بين يدين لا تائلة لهما ، يكتب عن ابتذال الخطباء - هذه الأيام - وشعراء المديح والهجاء - القائم سوقهم العكازي هذه الأيام - يغارلون (الطاسة) ويناغون (الدهنية) مناغاة بالغة اللزوجة ، يقولون لها: «يا دهنية لا تنكثين» ، بينما (الدهنية) ترجف بطاستها البد الواحدة الوحيدة - المعلومة - وقد اندلقت (الدهنية) ثم

اندلقت فشربت الأرض أعظمها وما بقي من الدهنية في الطاسة فهو على وشك الاندلاق فهاتينا بفعل الزلازل المرزلة ولسبب أن اليد الواحدة الوحيدة - المعلومة - ما خلقها الله ابتداءً وفي طاقاتها أبداً الحفاظ على طاسة الدهنية من أن تسقطها الزلازل ، كما ليس في طاقة تلك اليد الواحدة الوحيدة - المعلومة - أن تقض بقوة على نواميس الكون البشري - من أصله الذي أرساه الله يوم خلق هذا الكون

البشري وخلق معه نواميسه الحاكمة الحاربية - سواء من أجل أن توقف هذه اليد الواحدة الوحيدة - المعلومة - الزلازل المرزلة أو من أجل أن تمنع وقوعها ابتداءً!

●●●

ولقد دار الزمان دورته يا عقيل سوار وبدأت تنقضي آثار (سنة الطبعة) ، أثاراً

بعد أثر ، وفي عبونك الآن أرقب (حنظلة) مقبلاً أقباله الأكيد ليصحح التواريخ كلها بالتاريخ الجماهيري بل ليصحح حتى عثرات التاريخ الجماهيري نفسه بالنهوض مجدداً ومجدداً ، بالنهوض على القدمين ، على قدمي ٢٠٠ مليون حنظلة ، واستحضات الخطي نحو فجر جديد صادق ، أت لا محالة ، على كثرة ما تعاقب في عبوننا ، في قريب أفقنا وبعيده ، من لواعج الفجر الكاذب!

وفي نهاية المطاف - يا عقيل - فإن حنظلة ليس إليها نعيد من دون الله ، ولا هو

بالبني المرسل الذي يجري الله على يديه المعجزات والخوارق

وفي نهاية المطاف - يا عقيل - فنحن - كلنا - لسنا الهة ولا أنبياء يمدنا مدد

الوحي من السماء!

نحن نكبو ونحن نعثر ونحن نخطفى ونحن نقترف الخطايا بالإيدي

والجوارح ، ونحن يجوز علينا الضعف مرات ومرات وتغلينا أهواء نفوسنا

مرات ومرات و(حنظلة) لا يتوقع منا إلا ما يتوقعه هو من نفسه وهو لنفسه : مجرد بشر في مصطرع جدي عظيم بين هتافات السفوح بنا وهتافات القمم بنا ! بين هتافات عين (السلطان) وهتافات عين طفل رائع جريح أو شهيد في فلسطين ، أه عي ، عاماً ، متحد معاً ، في الحاد ، أه عن ، بأع صفح ، المغرب ،

بالرmaid . بطاردنا عقيل في ساحات عقلمنا الباطن . بطاردنا وهو يرجو أن يطاردنا طرداً ويطرد نفسه - معناً - طرداً من جنان الحلم النيفسجي المخملي الملتصق بين حفوننا الغافية التماعات كذبه الأبلق وزوره الذاتي ومفارقة الموضوعية للتاريخ !

ومرة أو مرات خفنا على عقيل سوار من تلك التي عشقها - بعد أن اضحي كهلاً !! فبادلته العشق كما يبدو !
الته من الحديد الـ «هارديير» بسمونها (الكومبيوتر) وصفائح معدنية/بلاستيكية رقيقة بسمونها - إن لم يحافني الصواب - تسمية الـ «سوفت وير» !

ولكن المؤكد - الآن - أن عقيل سوار لم يكن مع معشوقته الجديدة سوى في (غيبه صغرى) أخرى !! سرعان - بحمد الله - ما انطفاقت فتائلها فعاد إلى قلمه معشوقه وعاشقه القديم الأثر وحبه الأول والأخير !
وهذه عادة اعتدناها من عقيل سوار منذ عرفناه قبل عشرين سنة !
مرة غاب عنا فسالنا عنه فقبل لنا أنه أصبح مضوراً فوتوغرافياً يحتمل (الكميرة) على عاتقه دائراً في الأسواق والمحافل وفي وجوه الناس ، ياكل - يعرق جبينه - من (تصويره) للناس في أفراحهم وزغاريدهم العابرة للناس في تواريخ قهرهم الخالد ونبضات القهر بين الناس في مطالع النهار وطيلة النهار وطيلة الأمسي !

بل ومرة سألنا عن عقيل سوار ودلنا عليه بعض أهل الخير فوجدناه في سوق النخارين - والله - نجاراً من الطراز الأول ، جاداً في كدهه ، يسلم المنشأ في باطن صلبه الخشب ، ويطوي به (الربذه) ما أخشوش من وجه الخشب ، وفي براعة رشيقة ، ولكنها عنيدة ، يثبت المسامير ثم يدق المسامير - حتى يبلغ المسامير عنوا - في مواضعها المرسومة من الأخشاب ، فلا تجد من سمار واحد قد هوت عليه مطرقة عقيل سوار ثم أعوج أو ظهر وفيه سترٌ نوء !
وبالطبع فإن الإين البار - عقيل سوار - (حالة بن سوار) لا بد وأن تكون قد جرت في دماثة نبضات من نبضات «حلاليف» (أو «كلاليف») الأسلاف في (حالة بن سوار) (وحالة بن أنس) المجاورة لها مما التحم الآن - كله - فيما يسمى الآن بمنطقة (الحرورة) ، شيئاً فشيئاً منذ بدايات العشرينيات من هذا القرن الميلادي وحتى اليوم .

وإن فائه لا عقيل سوار - قابلاً نحن أن نتصوره !! - من غير أن يتصور ، كذلك ، مشاهد (غيباته الصغرى) ... يغيب ويغيب ثم يعود فارساً يمتطي صهوة الكلمة ، لا يشق له غبار ، ولا يصنعه الوهن من مطارداته لنفسه ولنا جميعاً ، جاهداً أن يطردنا جميعاً من جنة الأحلام النيفسجية ، المخملية ، الكذوبة ، المنسوجة بخيوط الزيف الموضوعي وبخيوط التزوير الذاتي معاً !

●●●

وأحاورك يا عقيل سوار ، فسراً وقهراً ، فما تواريخنا الذاتية - حتى نحن الأعمار الصغار العائشين على ضفاف الهوامش - وما «سِرِّنا» الذاتية !! على تقاهة عومياتها وتفصيلاتها معاً ، سوى نسج من نسج التاريخ الموضوعي ، في تياراته السفلية أو في مثاليه السامقة سواء بسواء !!

هل تذكر جيداً ، هل تريد أن تذكر جيداً ، سنوات ١٩٧٢ ، ١٩٧٣ ، ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ ، سنوات الروعة التي تبعته (سنة الطبعة) ؟
هل تذكر كم كانت مواقفنا المؤدجة الرسمية متباعدة بين بعضنا البعض ومتباعدة عن (عل سيار) كذلك ، ومع ذلك فإن روعة سنوات الروعة - تلك !! - قد قاربت بين قلوبنا بل بين عقولنا وضمائرنا فحكفنا جميعاً - عن طيب خاطر - في رحاب تلك الرائحة ، صدى الأسبوع ، نسج يعيوننا نحن ونسج (عل سيار) معنا يعينيه ، ما حسيناها ، يومئذ - الفجر الصادق الذي لا فجر صادق غيره !!

هل تذكر كيف أنه حتى (الطليقة) أو بالتحديد فوارق (الطليقة الاجتماعية) لم تتاعد بين قلوبنا نحن ولا بين قلوبنا وقلب (عل سيار) ؟
تلكم سنني ما قبل (سنة الطبعة) يا عقيل ، وما أجمل أن تذكر سنني ما قبل (سنة الطبعة) ونحن تعود اليوم إلى امتطاء صهوات الكلمة ، نحاول أن نستعيد إلى عيوننا دهشتها الطفولية ، القديمة ، النكر ، ونحاول أن نستدعي (الفارس القديم) أو ربما (مشروع الفارس القديم) الذي انفلت من بين أصابعنا فتبعثر فتلاشي في رمال التبعية الروحية / الثقافية / الإستهلاكية كما يضع الماء . من بين الأصابع ، ترشفه رشفاً رمال الصحراء العطشى المنحازة ضد الروح وضد الإنسان ، أو كما ضاع يوماً (الفارس القديم) عن صلاح عبد الصبور فبكاها بدم عزيز لا دموع !

●●●

ولقد أسعدني يا عقيل سوار أن التقى مجدداً مع عقيل سوار ، قديماً / جديداً ، يوضح بتواريخ القهر الخالد ، يكتب عن حقائق انتمائنا إلى تكريت وانتماء تكريت البنا ، يكتب عن عبث أن ترهن (طاسة الدهن) في يد واحدة أو بين يدين لا تالفة لهما ، يكتب عن ابتدال الخطباء - هذه الأيام - وشعراء المديح والهجاء - القائم سوقهم العكازي هذه الأيام - يغارزون (الطاسية) ويناغون (الدهنية) مناغاة بالغة للزوجة ، يقولون لها : يا دهبينة لا تنكتين ، بينما (الدهنية) ترجف بطاستها اليد الواحدة الوحيدة - المعلومة - وقد اندلقت (الدهنية) ثم اندلقت فشربت الأرض أعظمها وما بقي من الدهنية في الطاسة فهو على وشك الاندلاق نهائياً بفعل الزلازل المزلزلة ولسبب أن اليد الواحدة الوحيدة - المعلومة - ما خلقتها الله ابتداءً وفي طاققتها أبدأ الحفاظ على طاسة الدهنية من أن تسقطها الزلازل ، كما ليس في طاقة تلك اليد الواحدة الوحيدة - المعلومة - أن تقضي بقوة على نواميس الكون البشري - من أصله الذي أرساه الله يوم خلق هذا الكون البشري وخلق معه نواميسه الحاكمة الجارية - سواء من أجل أن توقف هذه اليد الواحدة الوحيدة - المعلومة - الزلازل المزلزلة أو من أجل أن تمنع وقوعها ابتداءً !

●●●

ولقد دار الزمان دورته يا عقيل سوار ويدات تنفض آثار (سنة الطبعة) ، أثاراً بعد أثار ، وفي عيونك الآن أرقب (حنظلة) مقبلاً أقباله الأكيد ليصبح التواريخ كلها بالتاريخ الجماهيري بل ليصبح حتى عترات التاريخ الجماهيري نفسه بالنهوض مجدداً ومجدداً ، بالنهوض على القدمين ، على قدمي ٢٠٠ مليون حنظلة ، واستحاثات الخطي نحو فجر جديد صادق ، ات لا محالة ، على كثرة ما تعاقب في عيوننا ، في قريب أفقنا وبعيده ، من لوازم الفجر الكلاب !
وفي نهاية المطاف - يا عقيل - فإن حنظلة ليس لها نعيده من دون الله ، ولا هو بالنبي المرسل الذي يجري الله على يديه المعجزات والخوارق .
وفي نهاية المطاف - يا عقيل - فنحن - كلنا - لسنا الهة ولا أنبياء بمدنا مدد الوحي من السماء !
نحن نكبو ونحن نعثر ونحن نخطيء ونحن نقترف الخطايا بالأيدي والجوارح ، ونحن نجوز علينا الضعف مرات ومرات وتغلبنا أهواء نفوسنا ومرات ومرات و(حنظلة) لا يتوقع منا إلا ما يتوقعه هو من نفسه وهو لنفسه : مجرد بشر في مصطرع جدي عظيم بين هتافات السفوح بنا وهتافات القمم بنا !
بين هتافات عين (السلطان) وهتافات عين طفل رائع جريح أو شهيد في فلسطين ، أو عين عامل منجم معادن في الجزائر ، أو عين بائع صحف في المغرب ، أو عين بائع فول ، على عربية ، في مصر ، أو عين مزارع تبغ بسيط ، لا يملك أرضه ، في لبنان ، أو عين بائع خضار متجول في اليمن ، أو عين ملثم أحذية متجول بعبثته في سوريا ، أو عين شيخ جليل - في أي مكان من الوطن العربي الكبير - قد توأرى إلى الهامش ، مهمشاً فقيراً ، حسيراً ، قد نهب اللصوص الكبار ، اقتطاعوا المزارع القطرية الخاصة !! ، حيوية عمره كله - في شقاء موصول وشبه سخرة متصلة قسرية - فلما أصابه الهرم وعجز عن مواصلة السخرة التي فرضها عليه اللصوص الكبار رماء اللصوص الكبار كما ترمى (الثوارة) من بعد التهام (التمررة) ، ولكنهم ما غفلوا عن أولاده فاحفاده فساقوهم سواقاً - كلهم من بعده - في قوافل السخرة الإيجارية (العامة) المتوالية المتوالية في تقاليد (المزارع القطرية الخاصة) !!

●●●

ولقد برح بك الخفاء يا حنظلة وبرز الخفاء بحنظلة ولا بد !!
حافظ الشيخ

●●●